﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: 121]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا نهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذ بطانةٍ من الكفَّارِ، ووعدَهم أنَّهم إن صبروا واتَّقَوْا فلا يضرُّهم كيدُهم شيئًا، ذكَّرهم هنا بحالةِ ما جَرى يومَ أُحُدٍ لعبد الله بن أبَيِّ بنِ سَلُولٍ حين انخَذَلَ عن رسول الله ﷺ وجَيْشِ المسلمين، واتَّبعه - في الانخذال في المسير لغزوة أُحُد - ثلاثُمئةِ رجلٍ من المنافقين، وهذا من أوضحِ مظاهرِ كيد المخالفين في الدِّين، من المنافقين، ولَمَّا كان شأنُ المنافقين من اليهود وأهلِ يثرب واحدًا، ودخيلتُهما سواء، وكانوا يعملون على ما تدبِّرُهُ اليهودُ، جمعَ الله مكايدَ الفريقين بذكر غزوة أحد، وكان نزولُ هذه السُّورة عَقِب غزوةِ أحد. فهذه الآيةُ وما بعدها تشيرُ إلى وقعةِ أُحُدٍ الكائنةِ في شَوَّال سنةَ ثلاثٍ من الهجرة، وفيها نزلت هذه الآيات[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿غَدَوْتَ﴾: جذر الكلمة هو: (غدي) و(غدو)؛ وغَدْوَة في سَبِيل الله أَو رَوْحَة، الغَدوة بِفَتْح الْعين من أول النَّهَار إِلَى الزَّوَال والرَّوحة بعْدهَا، وَهَذَا يدلُّ على فرق مَا بَينهمَا، والغَدوة هُنَا السّير فِي الْغَدَاة، والغُدوة بِالضَّمِّ من الصُّبْح إِلَى طُلُوع الشَّمْس، وَقد اسْتعْمل الغُدوُّ والرّواح فِي جَمِيع النَّهَار، وغَدا ويغدو بِمَعْنى سَار بِالْغُدُوِّ. والْغُدُوُّ: الذَّهَابُ غُدْوَةً ثُمَّ عَمَّ فِي كلِّ مسيرٍ، وَمِنْهُ الْحَدِيث الشريف: "واغْدُ يا أُنَيْسُ إلى امْرَأَةِ هذا، فَإِن اعْتَرَفَتْ فارْجُمْها ..."[2]، أي: اذهب. والغَدْوةُ والغَدَاةُ من أوّل النّهار، وقُوبل في القرآن: الغُدوُّ بالآصال، وقوبل الغَداةُ بالعشيّ. والغدوُّ هنا مطلقُ الخروج، ليس المرادُ به الخروجَ في أول النهار؛ لأنَّ النبي ﷺ وأصحابَه لم يخرجوا إلا بعدما صَلَّوا الجمعةَ[3].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/326، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/70.

(2) رواه البخاري في صحيحه، الحديث رقم: (2314).

(3) الراغب، المفردات، والسّبتي، مشارق الأنوار، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (غدا)، (غدو)، وينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 65.

2) ﴿تُبَوِّئُ﴾: جذر الكلمة هو: (بوأ)؛ تَبَوّأَ منزلًا، نزله، وبَوَّأَ له منزلًا، وبَوَّأَهُ منزلًا، هيأه ومكّن له فيه والبَوَاءُ بالفتح والمدِّ السَّواء، يقال: دم فلان بَواء لدم فلان، إذا كان كفؤا له. وجاء في القرآن الكريم من استعمالات هذا الجذر صيغتان: "باء كقوله: ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 162] و﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 112] رجعوا به وكذا باءَ بإثمه، والصيغة القرآنية الأخرى من هذا الجذر هي "بوَّأ" بمعنى الإقرار في مكان مهيَّأ مناسب، كقوله: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 74]. أي: وأنزلكم في الأرض تتخذون فيها مساكن[1].

3) ﴿مَقَٰعِدَ﴾: جذر الكلمة هو: (قَعَدَ)؛ القُعود يقابل القيام، والقَعْدةُ: المَرَّةُ الواحدة. والقَعَد: القَوْمُ الذين لا ديوان لهم. والمَقْعد مكان القُعود، قال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: 55]، ويُعبَّر عن المُتكاسل بالقاعد، نحو قوله: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 95]. وقوله: ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾؛ كناية عن المعركة التي بها المُستقرُّ، فهي مقاماتٌ وليست مجالسَ؛ أخذًا من الانتصابِ مع قوَّة الثباتِ، كأنهم راسخون في الأرض[2].

تنزلهم وترتبهم كل في مقعده اللائق به.

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

كمالُ علمِ النبيِّ ﷺ ورأيِـــه، وسـدادُ نَـظَـرِه وعلوُّ همَّتِه

واذْكُر - أيُّها الرسولُ ﷺ - حينَ خَرَجْتَ من بيتِكَ لابسًا عُدَّةَ الحربِ، سائرًا لملاقاةِ جُمُوعِ المشركين، تنظِّمُ صفوفَ أصحابِك، وتُنْزِل كلَّ واحدٍ في مَنزله اللائق به في ساحةِ المعركة؛ للقاء المشركين في غزوة (أُحُد). واللهُ سميعٌ لجميعِ المَسْموعات، وما يقولُه المؤمنون والمنافقون وما يتكلَّم به كلٌّ بحسَبِ ما في قَلْبِه، عليمٌ بنيَّاتِكم وأفعالِكم، فيجازيكم عليها أتمَّ الجزاءِ وأوفاه[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّازي، مختار الصّحاح، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بوأ).
(2) الخليل، العين، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قعد).
(3) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/319، والموصلّي، أولى ما قيل: 2/532 - 533، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 65، ونخبة من العلماء، التفسير الميسَّر، ص: 65.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

الِالْتِفَاتُ فِي صِيَغِ الْأَفْعَالِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

حِرْصُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي مُخْتَلِفِ الْأَحْوَالِ

في قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ التفاتٌ في صيغ الأفعال؛ فقد التُفِتَ من الفعل الماضي ﴿غَدَوْتَ﴾ إلَى الفعلِ المُضَارِعِ ﴿تُبَوِّئُ﴾، وعُبِّرَ عن الغُدُوِّ بالفعل الماضي؛ لأنه خروجٌ حصل دفعةً واحدةً وانقضى، بخلافِ قوله: ﴿تُبَوِّئُ﴾ وهو بمعنى إنزال المؤمنين مراكزَ يقِفُون فيها؛ فهو يحتاج إلى معالجةٍ واتِّساعٍ في الزَّمَنِ، ولذا وقع التَّعبيرُ عنه بالفعل المُضارِعِ المفيدِ للتَّجدُّدِ وامتدادِ الزَّمَنِ.

وَ(إِذْ) مدخل إلى الظَّرف الزّمنيِّ لِلْقصّة، آتٍ كما أتَتْ نظَائِرُه في أوائلِ الآيِ والقَصَصِ القرآنيّة، وعطف الآية ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ هو مِنْ عَطْفِ جملة على جملةٍ، وقِصَّةٍ على قِصَّةٍ، وهو انتقالٌ اقْتِضَابِيٌّ، والتَّقدير: وَاذْكُرْ إِذْ غدَوْتَ[1].

دِلَالَةُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي سِيَاقِ الْقِصَّةِ:

نصر المؤمنين أنموذج واقع للمواجهة والقتال في موقعة قادمة

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ تقديمٌ وتأخيرٌ، والتَّقدير: (ولَقَدْ نصركم اللّه بِبَدْر وَإِذْ غَدَوْتَ مِن أَهْلِكَ...)، وذلك اهتِمَامًا بسياقِ القِصَّة وترابُطِهَا، قبل الانتقالِ إلى التَّذكيرِ بمنَّةِ اللّه تعالى عليهم في بدرٍ ونصرِ اللّه سبحانه لهم.

كُلُّ كَلِمَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَالَّةٌ فِي مَحَلِّهَا اللَّائِقِ بِهَا، لَا يُجْزِئُ عَنْهَا غَيْرُهَا

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْمَقَاعِدِ دُونَ الْمَوَاقِفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾:

ذُكِرَتِ المَقَاعِدُ في قوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ وأُرِيدَتِ المواقفُ والمواطنُ؛ لجامع الثّبات فيه، فقد قال الرّاغبُ: "وقوله: ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ كنايةٌ عَنِ المَعْرَكَةِ التي بها المُستقرُّ"[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/70.
(2) الراغب، المفردات: (قعد).

ومَقَاعِدُ: جمع مَقْعَدٍ، وهو مكانُ القعودِ، والمعنى: مواطنُ ومواقفُ، وقدِ استُعْمِلَ المقعَدُ والمَقامُ في معنى المكانِ، ومِنْهُ: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: 55]، و﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: 39].

وقال الزَّمخشريُّ: "وقدِ اتُّسِعَ في قَعَدَ وقام، حتَّى أُجْرِيَا مُجْرَى صَارَ"(1)، أمَّا إجراءُ قَعَدَ مُجْرَى صارَ؛ فإنَّمَا جاء في لفظةٍ واحدةٍ، وهي شاذّة لا تتعَدَّى، وهي في قولهم: شَحَذَ شَفْرَتَهُ حتَّى قَعَدَتْ كَأَنَّها حِرْبَةٌ، أَيْ: صارَتْ(2).

واختِيرَ لفظُ القعود دون القيام؛ لما في القعود من الدِّلالةِ على الثَّبات، وهو الأنسبُ لسياق الجهادِ، تفاؤلًا بتثبيت اللّه تعالى أقدام أهل الإيمان في مواجهة أهل الكفر، قال ابن عطية: "لفظة (القعود) أدلُّ على (الثّبوت)، ولا سيّما أنَّ الرّماة إنّما كانوا قعودًا، وكذلك كانت صفوفُ المسلمين أوَّلًا، والمبارزة والسَّرَعَانُ يَجُولُون، وجمعَ المقاعد؛ لأنّه عيَّنَ لهم مواقفَ يكُونُون فيها، كالمَيْمَنَةِ والمَيْسَرَةِ، والقَلْبِ، والشّاقة، وبيّن لكُلِّ فريق منهم مَوْضِعَهُم الذي يقفُونَ فِيهِ(3).

بَلَاغَةُ التَّذْيِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

إِحَاطَةُ سَمْعِ اللّهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ بِجَمِيعِ أَحْوَالِ الْعِبَادِ

قوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أَيْ: سَمِيعٌ لِأَقْوَالِكُمْ، عليمٌ بِنِيّاتِكُمْ.

فجاءَ هذانِ الاسمانِ هُنَا؛ لأنَّ في ابتداءِ هذه الغَزْوَةِ مُشَاوَرَةً ومُجَاوَبَةً بأقوالٍ مُخْتَلِفَةٍ، وانْطِوَاء على نيّات مُضْطَربة حسبَما تضمَّنَتْهُ قصّةُ غزْوَةِ أُحُدٍ(4)، فبيَّنَ سبحانه بهذا التَّذييلِ أنَّه سبحانَهُ مُطَّلِعٌ على ما كانَ يَجْرِي بَيْنَ المُؤْمِنِين وبينَ النَّبِيِّ ﷺ من مُشَاوَرَاتٍ ومَا اسْتَقَرَّ عليهِ رَأْيُ أكثرِهم، وَأَنَّه تعالَى عَلِيمٌ بِخَفَايَا الْقُلُوب، فهو يَعْلَمُ ما تَهِمُّ به قلوبُ المُؤْمِنِين، وما تُوَسْوِسُ بِهِ قُلُوبُ المُنَافِقِين، ومَا يَبُثُّونَهُ مِنْ رُوحِ الذُّعْرِ والْهَلَعِ فِي نُفُوسِ المُؤْمِنِينَ، وهذا التَّذييلُ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ جارٍ مجرى المَثَلِ؛ لاستقلالِهِ بالإفادةِ وعدم توقُّفِ فهم أصل معناهُ على ما قبلَهُ.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/409.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/326.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/497.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/328.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»